مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 5 السنة: 2020
ص: 1222 - 1234 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

# نسق الذكورة والفحولة وتجلياتهما في خطاب الأمثال الشعبية الجزائرية

## دراسة ثقافية

# The Pattern of Masculinity and Virility and their Manifestations in the Speech of Algerian Popular Proverbs: A Cultural Study

*ط.د. فطيمة بوخرباطة[1]، الأستاذ الدكتور عبد اللطيف حني[2]

**Boukharbata fatima [1], henni abdelatif [2]**

مخبر التراث والدراسات اللسانية،جامعة الشادلي بن جديد، الطارف (الجزائر)

University chadli ben jdid –eltarf- Algeria

boukherbatafatima@gmail.com [1]

henni2006@gmail.com[2]

| تاريخ الإرسال:2020/04/19 | تاريخ القبول:2020/08/12 | تاريخ النشر : 2020/12/25 |
|---|---|---|

## ملخص البحث

ينطلق هذا المقال من فرضية منهجية، يكمن لبّها في أن التراث الفكري العربي بما فيه الأدب الشعبي الذي يتجسد بفروعه المتنوعة ومنها الأمثال الشعبية، قد خضع لنسق ثقافي مضمر أعاد صياغة وتوجيه صورة معينة للمرأة، لذلك كان أبرز أهداف هذا البحث ليس دراسة المثل الشعبي من الناحية البلاغية والجمالية، بل محاولة قراءة النص وتحليليه للكشف عن مظاهر تحيز الثقافة الشعبية الجزائرية ضد المرأة، والوقوف عند مختلف التصورات والأفكار والقيم التي احتفت بها المنظومة الثقافية الذكورية من خلال دراسة بعض الأمثال الشعبية الجزائرية وقد خصصنا في ذلك الأنساق الثقافية الفحولية.

**الكلمات المفتاحية** : الأنساق الثقافية، الفحولة، الذكورة، خطاب الأمثال الشعبيّة، النقد الثقافي.

**Abstract :**

This article is based on a systematic hypothesis lies in the idea that the Arab intellectual heritage including folk literature, which is embodied in its various branches as popular proverbs, has been subject to a conscientious cultural pattern that reformulated and directed a specific image of women. Hence, the most prominent objectives of this research are not to study the popular proverbs from the rhetoric and aesthetic aspect, but rather trying to read and analyse texts to reveal the manifestations of the bias of the Algerian popular culture against women; and to stand at the various perceptions,

* فطيمة بوخرباطة boukherbatafatima@gmail.com

ideas, and values that the male cultural system celebrated by studying some of the Algerian popular proverbs through which we have devoted to study the cultural patterns of virility.
**Key words**: Cultural patterns, virility, masculinity, popular proverbs speech, cultural criticism.

**مقدمة:**

تعتبر الأمثال الشعبية أكثر أجناس الأدب الشعبي تداولا وانتشارا، فقد استطاعت التعبير عن التجربة الإنسانية للبشرية في جميع ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية والثقافية عبر حقب طويلة من الزّمن، وساعدها في ذلك بنيتها الشكلية ولطف تشبيهها وجودة كنايتها... هذا بالإضافة إلى إيجاز لفظها بالمقارنة مع أشكال التعبير الأخرى.

واستحضار المثل الشعبي يدّل على أن تاريخنا وتجارب أسلافنا لا يمكن أن تنقطع عن حاضرنا وحتى مستقبلنا، وينعكس ذلك أيضا في سلوكنا، ولا ننكر أن للأمثال الشعبية دورًا كبيرًا في حمل القيم الإنسانية نظرًا للطابع التعليمي والارشادي التي تميز بها بعضها، بيد أن ما يهمنا في هذا البحث ليس دراسة المثل من ناحية قيمته أو جماليته، بل نروم ما تضمره هذه الجماليّة من أنساق استطاعت الثقافة تمريرها دون أن نشعر، وقد اخترنا الأنساق الذكوريّة المتجذّرة في ثقافتنا الشعبيّة والّتي تهمش المرأة وتضعها في منزلة أدنى.

**أولا–مفهوم النسق الثقافي:**

تعددت التعاريف الّتي قاربت النسق، ورغم اختلافها؛ فإنها تجمع على أن النسق "ما كان مؤلفا من جملة عناصر أو أجزاء تترابط فيها وتتعالق لتكوّن تنظيما هادفا إلى غاية"[1] بمعنى أن النسق يتشكل من مجموعة من الأجزاء المترابطة والمتماسكة والمتكاملة والمتكافئة وظيفيا، أي أنه يؤدي وظيفته، كما "يتحدد مفهوم النسق في نظرتنا للعناصر الّتي تتكون منها البنية، ذلك أن البنية ليست مجموع هذه العناصر، بل هي هذه العناصر بما ينهض بينها من علاقات تنتظم في حركة العنصر خارج البنية وداخلها، وهو يكتسب قيمة داخل البنية في علاقته ببقية العناصر"[2] فالعناصر والأجزاء التي يتكون منها النسق لا تكتسب أيّ أهمية إلاّ من خلال علاقتها مع العناصر الأخرى، أي في نظامها داخل البنية، وهنا يُشترط النظام؛ فالنسق "نظام ينطوي على

أفراد مفتعلين تتحدد علاقتهم بعواطفهم وأدوارهم الّتي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا في إطار هذا النسق، وعلى نحو يعدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي"[3].

يشير هذا التعريف إلى العلائقية والارتباط والتعاضد فيما يشترك فيه الأفراد، فالنسق "يرتكز على معايير وقيم تشكل مع الفاعلين الآخرين جزءا من بيئة الفاعلين"[4]، خاصة وأن المجتمع هو نسق اجتماعي عام، يمكن أن تتوّلد عنه أنساق فرعيّة مختلفة، أما حديثنا عن حدود النسق، فإن انفتاحه على الثقافة، جعله يصبح بشكل نظام من العلاقات اللامتناهية، فالنسق الثقافي "يكتسب عندنا قيمًا وسمات اصلاحيّة خاصة"[5] فالنسق الثقافي هدفه الكشف عن المضمر المستتر والمختبئ خلف الجمالي في النصوص الأدبيّة، وهو المحور الأساس كذلك في النقد الثقافي.

وإذا كان النقد الأدبي ينصب حول النص، يحلل بناه وتراكيبه النحوية والدلاليّة ويبحث عن ملامح الشعرية والجمالية فيه، فإن النقد الثقافي يهتم بالنبش والتنقيب في الأنساق المضمرة والاهتمام بالخطابات المهمشة، بما في ذلك الخطابات الشعبيّة، لأنه "نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء تطورها وسماتها"[6]، بمعنى أنه يتناول البنية الثقافية وأنظمتها ويهتم بقضاياها وكل ما يتعلق بالثقافة بوصفها نظامًا كُليًا.

فالنقد الثقافي بهذا المعنى اكتسب "صفة الامتداد والاتساع، نظرًا لطبيعته الجانحة نحو الاشتغال في ميادين الشمول، ودخول كل الميادين المعرفية والثقافية والعلميّة"[7]، بما أنه منفتح على مختلف مجالات المعرفة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والدينية ... الخ، هذه الرقعة الواسعة تفترض على نقادها التنوع والتعدد والاختلاف في الاتجاهات والمذاهب فـ "نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكار ومفاهيم متنوعة"[8]، على عكس نقاد الأدب الذين تكفيهم آليات ومنطلقات محددة لا تخرج على نطاق الأدب تقريبا.

بيد أن النقد الثقافي ليس منهجا مثل مناهج النقد الأدبي، وإنما هو مقاربات نظرية، فليس " النص سوى مادة خام لاستكشاف أنماط معينة"[9]؛ بما أن هدفه ليس النص بحد ذاته، وإنما ما يخفي تحته من أنساق مضمرة ومكبوتة حملتها لنا النصوص عبر الزمن، لذلك فالدراسات الثقافية والنقد الثقافي الذي ولد من رحمها لا يهمها نوع هذه النصوص، "وهنا نستبعد الرديء والنخبوي عبر شرطي الجمالي والجماهيري"[10].

فحتى الخطابات الشعبية بما فيها الأدب الشعبي بجميع فروعه يحمل نصوصا جمالية، فما يهمنا هو توفر الشرط الجمالي وأنه يحظى باهتمام من قبل الجمهور، ولا يهمنا النص في حد ذاته، لأنه لا يعدو أن يكون وسيلة فقط للتنقيب والحفر عما يحمله من أنساق "منكبتة ومنغرسة في الخطاب ومؤلفتها الثقافة ومستهلكوها جماهير اللغة من كتَّاب وقراء، يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير والنساء مع الرجال والهامش مع المسوّد"[11]، لذلك ارتأينا أن ندرس بعض الأمثال الشعبية الجزائرية والكشف عن نسق متجذر داخل الثقافات الشعبية العالميّة بصفة عامة، والثقافة الشعبية الجزائرية بصفة خاصة، ألا وهو النسق الثقافي الذكوري الفحولي.

**ثانيا–النسق الثقافي الذكوري الفحولي:**

– تزخر الأمثال الشعبية بقيم إنسانية متعددّة، كان لها الفضل الكبير في التوعيّة والإرشاد، إضافة إلى طابعها التعليمي، كونها أكثر الأشكال الشعبية انتشارا وتداولا بين الناس، وبالرغم من غناها جماليا،إلا أنها حملت الكثير من الأنساق الثقافية المستترة خلف شكلها وبنيتها اللغوية وابتعادها عن التعقيد وميلها للبساطة، واخترنا من بين هذه الأنساق الثقافية، النسق الثقافي الذكوري المتجذر في الثقافة الشعبية الجزائرية لبعض هذه الأمثال الشعبية.

**1 – نموذج من الأمثال تفضل الذكور عن الإناث في الإنجاب:**

يقول المثل الشعبي الجزائري: **"المعيز خير من الفقر والبنات خير من العقر"**[12]

يمكننا تأمل خلاصة هذا المثل أن من لديه الماعِزْ ويفتقد للأبقار والأغنام والجمال ...وغيرها من المواشي خير من الذي لا يملك شيئا، إذ تعد الماعز أقل أنواع الماشية إنتاجية ويقابله في الشطر الثاني أن من لديه الإناث ويفتقد للذكور خير من العقم، فالعُقر بمعنى العقم، فيكونُ بذلك المثل قد حمل لنا معنًى ظاهريًا ودلالة صريحة، تتضمن القناعة والرضا بالقليل الّذي قسمه اللّه لك، لأنك أفضل من الآخرين الذين لا يملكون أي شيء.

إن ما يهمنا من كل ذلك، هو ما يخفيه هذا المثل من أنساق ثقافية مضمرة وَجَبَ تعريتها واكتشاف ما تخفيه، "فهي في المضمون وليس في الوعي، وتحتاج إلى أدوات نقديّة مدققة تأخذ بمبدأ النقد الثقافي"[13]، كما لا ننكر أن هذا المثل تضمن عبارات جماليّة مثل (الفقر، العقر) مما ترك نغمة موسيقية في الأذن، إلاّ أنه يخفي أنساقا ثقافية فحولية تمجد السلطة الذكورية في الجملة الثقافية "البنات خير من العقم"، فظاهرها القناعة والرضا لكن باطنها فيه ترسيخ للنظرة الدونية

للأنثى التي استقرت في اللّاوعي الجمعي لدى الشعوب، وأصبح صداها يدوي في حاضرنا، بل نجد لها مكانًا رفيعًا ومرموقًا في تفكيرنا وسلوكنا بوعي منا أو دون وعي.

ويبدو أن المثل يواسي المرأة المسكينة في نظر الثقافة الشعبية؛ لأنها لم تتمكن من إنجاب الجنس المرغوب، فالبنات في نظر هذه المنظومة الثقافية "لا يجلبن سوى القلق والخوف والمتاعب بل وربما العار أيضا"[14]، لذلك المرأة التي تنجب الذكور هي الأكثر حظا وأرفع مكانة، ولا مجال للمقارنة بين الذكور والإناث؛ فالأنثى كائن مهمش ومستلب حقوقه، كائن ليس له عقل في الكثير من الثقافات "**فاليهود والرومان يعتبرون أن المرأة شيطان**"[15].

وارتبط موضوع المرأة برؤية تحّيزية، مما دفع المرأة إلى التفكير والسعي دائما بكل الطرق لإنجاب الذكر هي الأخرى، فإن كانت لا تستطيع أن تثبت وجودها برأيها وعقلها وتفكيرها المهمش والمسلوب، فإن طريقها الوحيد بعد الزواج هو إثبات ذاتها في إنجاب الذكر، فتكون قد بلغت جزءًا من حلمها الّذي لم يتحقق في كونها ولدت أنثى "لأن البنت –في مفهوم هذه الفئة –كائن قاصر ،ساذج"[16] مهما كبرت وتعلّمت، لذلك لا نتعجب من "الزوجة نفسها تكاد تطير من السعادة عندما تنجب الذكر، وكأنها تعلن بهذا نجاحها في الحصول على الأفضل، وبراعتها كأنثى في إنجاب النوع المطلوب كما لو أن هذا يعود إليها، وليس إلى الخالق عز وجل"[17].

والمؤسف بالرغم من مرور الزّمن إلاّ أن هذا الشعور لا يزال يتفاقم لحد اليوم، وأن المثل لا يزال يستحضر بوعيّ أو دون وعي منّا، مما "يوضح مدى قدرة النسق على التغلغل إلى بواطننا والتحكم بردود أفعالنا "[18]، ذلك أن الأنساق الثقافية الفحولية تعمل عملها دون شعور المرأة في حد ذاتها التي تستحضره هي الأخرى من حين لآخر، كونها عاجزة على التحرر من قيد الثقافة الذكوريّة، ومن الأطر المفهومية الجائرة، وعن تقليص الفجوة العملاقة التي زرعتها هذه الأطر مند القدم والتّي حصرت دور المرأة في جوانب لا تليق حتى بإنسانيتها.

وحمل هذا المثل أنساقا تاريخية أزليّة منها النسق الجاهلي أيضا الذي يئد البنت وهي حيّة قال تعالى "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ "[19]، مما يثبت أن الأنساق الثقافية الفحولية التي تضمنها هذا المثل لا علاقة لها بالدين الإسلامي، والتي لا ترغب في إنجاب الإناث إلا أن النسق الثقافي الجاهلي ساريّ المفعول، و"مازالت الأنثى تستقبل وهي تطلق صراخاتها

الأولى في الحياة ككائن زائد غير مرغوب فيه وما زال العديدون من معظم البلدان العربيّة –إن لم يكن كلها– يستقبلونها بوجه مسود وهم كاضمون"[20].

كما لا ننكر أن الأمهات اللواتي ينجبن الإناث اليوم يتعرضن لنوع من العنف النفسي، وعدّة ضغوطات وحصارات اجتماعية خانقة من عدّة أطراف عديدة، سواءً الزّوج أو الحماة أو المجتمع بصفة عامة، ومنهنَّ من يتعرضنَّ للطلاق متهمين إياها بأنها السبب وراء إنجاب الأنثى، الأنثى التي طالما ظلّمت وهمشت وسلبت منها أبسط الحقوق، فلا غرابة أن نجد في شقي هذا المثل مقارنة البنات بالماعز.

**"المعيز خير من الفقر البنات خير من العقر"[21]**

–نلحظ مقارنة الأنثى بحيوان الماعز لم يأت عبثًا، ولا أقصد أن قائل المثل قد قصد الحط من المرأة رغبة في تكريس دونيتها، فقد تكون الأنثى نفسها هي التي أنتجت هذا المثل ، ولا ذنب لها كونها تنتمي إلى بيئة اجتماعية ذكورية، استهلكت ثقافتها وسلبت هويتها بشكل جيّد، وأصبحت هي الأخرى موضع إنتاج لْمُدخَلاَتِ هذه المنظومة.

لكن تشبيه ومقابلة الأنثى بالماعز تشبيه بوظائف داخل البنية، والدور الصغير الذي يلعبه الماعز داخل المزرعة، ومردوديته وإنتاجيته الضعيفة تشبيهٌ بالأنثى ومكانتها المهمشة داخل البنية المجتمعية، أو داخل المنظومة الثقافية الفحوليّة التي يحتل الذكر فيها دور الأسد، بينما الأنثى مجرد كائن يؤدي وظيفة بيولوجيّة (الإنجاب) –إنجاب الذكر–

**2 – نموذج من أمثال شعبية ترتبط بتهميش المرأة –الزوجة–**

من بين ما اخترنا لهذا الغرض المثل المشهور والأكثر تداولا **"اللّي ضربوه الرجال برَّا يجي للحايرة في الدَّار"**[22] كما يأتي هذا المثل بصيغة أخرى **وهي "مغلوبتي مرتي"**[23] ومعنى هذا المثل أن الزوج الّذي يظلمه الرجال، لا يجد ما يشفي فيه غليله إلا زوجته في المنزل، الّذي يفرغ عليها كل أنواع الإهانة والضغوطات والغضب، ذلك لأن الزوجة هي (منفذهُ الوحيد) كونها الكائن الضعيف الذي لا يملك حق الغضب.

وهناك من قصر هذا الشعور على الرجال فقط وجعله حكرا عليهم، فقالوا بأن "الغضب في الأصل شعورٌ ذكوري، يدفع الدّم نحو اليدين ما يجعل الشخص الغاضب يسارع إلى السّلاح أو

ضرب الخصم"[24] فهل هذا يعني أن شعور الغضب يقتصر على الرجل دون المرأة؟، وما محل المرأة التي تُظلم وتُضرب إذا غضب الرجل منها، ويمارس عليها شتى أنواع التعذيب الجسدي؟

فالمثل هنا يفرض الثقافة الفحولية وما تحمله من معاني السيطرة والظلم والاستبداد والتمركز حول الذات وإهمال الآخر بل احتقاره، وبالرغم من أن الدين الإسلامي قد حذرنا من الظلم، بل إن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أوصانا بالنساءِ خيرا، إلاَّ أن النسق الثقافي الجاهلي لا يزال يعمل عمله.

ولم يقتصر التجريح على العنف النفسي فقط بل حتى الضرب الجسدي؛ فالرجل "قد يستخدم العنف كمنفذ لمشاعره السيئة حول ذاته وحظه الضئيل في هذه الحياة، وينظر إلى المنزل على أنه ذلك المكان الذي يستطيع ممارسة فيه تلك المشاعر دون أن يتلقى ردا عقابيا ،إنه يعمل عملية إزاحة أو نقلة لانفعالاته displacement"[25]، وهو ما لا نستطيع إنكاره من الناحية النفسية، كما أن المنزل هنا يتمثل في الزوجة أساسا، فقد تعرضت المرأة الجزائرية قديما إلى الظلم والاستبداد و"عاشت ظروفا شاقة مزرية، وسدت أمامها كل السبل، وفرضت عليها عادات وأعراف بعيدة كل البعد عن الدين والرقي والحضارة، وجعل المنزل بمثابة سجن لها لا تغادره من يوم أن تُزف إليه إلى أن تحمل على النعش في القبر"[26]. ولا ندري أي نوع من الصبر تملك المرأة الجزائرية لتحمل كل هذه التقاليد البالية، هذا بالإضافة إلى الظلم القسري الذي تتعرض له في المنزل من قبل السلطة الذكورية عامة متمثلة في الإخوة والأب.

ولو دققنا أيضا في المثل السابق جيدا لوجدنا عبارة "**الحايرة**"، ومعنى هذه الكلمة باللّغة الفصحى هي المرأة البالية الضعيفة التي لا قيمة لها، كما أن وجودها لا يختلف من عدمه، فهذه الكلمة تكشف المكانة المتدنية للزوجة في المنزل والحقيقة أن " اضطهاد المرأة وتهميشها لم يكونا في الحقيقة والواقع بسبب العامل البيولوجي أو الديني أو النفسي، وإنما بسبب العوامل الاجتماعية والطبقية والأعراف والقيم الذكورية التي تنتج عن مصالح الرجل في الهيمنة والاستحواذ بها وإخضاعها لمشيئته "[27] وتسخيرها لخدمته.

### 3- نموذج من أمثال شعبية تحمل نسق الجسد:

حملت العديد من الأمثال الشعبية نسق الجسد فوضعت من خلاله الصورة النمطية للمرأة من منظور الثقافة الذكوريّة، خاصة وأن الأمثال تعتبر بمثابة القوانين التي تعتنقها الشعوب وتؤمن بها

بقوّة، لذلك أخذت مكانتها الحيّة في قلوبهم ووجدانهم وحتى في سلوكهم وتصرفاتهم، وقد أخذ الجسد حيزا كبيرا في وصف المرأة ومن بين تلك الأمثال اخترنا المثل الشعبي الأكثر رواجا وتداولا، ونصه :

"**خود امرأة ونص إذا غاب النص تبقى امرا**"[28]

يقدم هذا المثل الشعبي توجيها للفرد عندما يقبل على اختيار زوجته أو شريكة حياته، فلابد أن تختار المرأة صاحبة الجسم الممتلئ أو السمينة، لأنّ ظروف الحياة قد تُفْقِدُها كيلوغرامات من جسدها فعلى الأقل يبقى شيء منها.

– يوحي لنا هذا المثل الشعبي من خلال معناه أن الرجل مقبل على شراء ثور سمين كي يتحمل أعباء حرث الأرض، ففي الاعتقاد الشعبي القديم يعتبرون أن المرأة السمينة أو الممتلئة أكثر قدرة وجدارة في القيام بمختلف أعمال البيت داخله وخارجه –في المزارع والحقول– من المرأة النحيفة، التي ترتبط دلالتها بالضعف والهزالة، كما رُبط الجسد الممتلئ من المعايير الجمالية التي كانت من شروط جمال المرأة قديما، "فالمرأة في نظر الرجل صانع الثقافة، وواضع المعجم، لا تكتسب قيمتها إلا بقدر جمال جسدها"[29].

فالمثل الشعبي يكرس النظرة الجسدية للمرأة ولو اختلفت المعايير التي وضعت من قبل المنظومة الثقافية الذكورية قديما –الجسد الممتلئ السمين– إلى المعايير المعاصرة –الجسد النحيف الرشيق–، إلا أنها اتفقت هذه القوانين الفحولية ألاّ تخرج المرأة على نطاق الجسد، وقد غُيب في اختيار الزوجة عقلها وفكرها وانسانيتها واختُزِل في جسدها دون أيّ صفة معنوية أخرى، وبما أن المثل يعتبر بمثابة قانون فإن "ترديد المثل على الألسنة دليل على هذه الرغبة التي تخجل من الظهور المعلن ولكنها تتسلل عبر الكلمات لتفضي بمكنونها"[30].

إن هذه الرغبة هي أنساق دفينة كرست من قبل الثقافة الفحوليّة التي لا تصور المرأة خارج نطاق الجسد –**العيون، الشفاه، الخدين، القوام الجسدي ...الخ**، ولا ننكر أن المدّ النسقي ساري المفعول، فلا يزال جسد المرأة يُروّج ولا يكاد يخلو إشهار تليفزيوني من حضور المرأة، حتى ولو كان موضوعه لا يتعلق ولو بجانب من جوانبها.

وحتى ولو تقدمت البشرية، فإنها تتقدم وتتطور بتغيير وسائل ترويج الثقافة الذكورية، لا تغير النظرة أو الصورة التي رُسمت لها من قبل هذه الثقافة، ولا يمكن أن تتغير تلك الأطر المفهومية الجائرة ضد المرأة.

**4 -نموذج من أمثال تروم الخلاص من الأنثى بتزويجها :**

واخترنا أشهر هذه الأمثال الشعبية الجزائرية الذي يقول:

"**اللي عَندو بنتو في الدار عندو بومبة**"[31].

وظف المثل الشعبي لفظة "بومبّة" هي كلمة معربة من الكلمة Bombe وتعني قنبلة، ولابد أن تشبيه البنت بالقنبلة لا يعتبر تشبيها بجانب القوة والقدرة الحربية لبلوغ الهدف أفضل من الأسلحة الأخرى كالبندقية مثلا، بل تشبيه بقوة الأضرار الجسيمة التي يحدثها الإنفجار في أيّ لحظة، بالعار الذّي قد تحدثه الأنثى الموجودة في بيت أبيها.

فالمثل يحمل طابعا تعليميا إرشاديا، فهو يحذر الآباء –ممثلة في السلطة البطريكية– مما قد تحدثه البنت من جلب العار لوالديها، وبالرغم من أن عقوبة الخطيئة يعاقب عليها الدين الإسلامي لكلاّ الجنسين، إلاّ أنها تنسب دائما للأنثى وأصبحت صفة الخطيئة اتهاما إلزاميا على كل أنثى، وهذا ما حمله المثل من أنساق موغلة في القدم محملة ومشحونة بالأنساق الفحوليّة، التي تنقص من شأن المرأة وتضعها في خانة الرذيلة والعار، وتعتبرها بمثابة القنبلة الموقوتة التي وجب الحذر منها وحراستها، والتخلص منها بأية كيفية.

وعليه بَنَتْ هذه المنظومة حِصنًا حصينًا وحصارًا اجتماعيًا خانقًا على الأنثى، وتم فرض قيود متينة عليها، خوفا من الفضيحة؛ فـ"لا حماية لها إلا بمراقبتها الدائمة وعزلها والسيطرة عليها؛فحرية الأنثى جرب معد لا يلبث أن يصيب بعدواه جنس النساء قاطبة، ثمّ المجتمع بكامله،وذلك داء عضال يخرب الركائز الاجتماعيّة لو سمح به، فالمرأة بحاجة لمن يحميها من خطر كامن فيها، وهو في حال تأهّب دائمة،وسيتفجّر حالما تخف رقابة الذكور"[32].

كما أن المنظومة الثقافية الفحولية مارست من خلال هذه القواعد والقيم كل أشكال السلطة والهيمنة على مختلف العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ... الخ، ووضعت المرأة في مكانها المعروف، وسيرت العلاقات العائلية على أساس ذكوري يهيمن فيه الذكر على الأنثى، ويتسلط الأب على الأم، والإخوة الذكور على الإخوة البنات، حتى لو كانت البنات أكبر من الذكور

عمرا، ويتصف هذا التسلط بالتهميش واللاعقلانية، وكونه بعيدا كل البعد عن الجانب البيولوجي والديني والنفسي، والسبب راجع إلى ترسب مختلف الجوانب والعوامل المرتبطة بالقيم الذكورية .

فالذكورة باعتبارها نسقا مضمرا في المثل الشعبي يتغذى من المنطلقات الاجتماعية المترسخة منذ عقود زمنية في ذواتنا وأنفسنا، فنحن نمارسها دون شعور منّا، ومن حين لآخر نسعى لضبطها بسلطة الدين لكن سرعان ما تنفلت منّا، وهذا ما يترجمه المثل الشعبي السابق.

–ولا ننكر أن ما حملته الأمثال الشعبية الجزائرية من أنساق ذكورية لازلنا نخضع لسلطتها وننساق لتأثيراتها المختلفة إلى اليوم، فلا تزال المرأة إلى يوم الناس هذا تعاني في صمت في الكثير من المجتمعات، وتتعرض للظلم والاستبداد والتهميش خاصة في القرى والمداشر النائية.

ولعل هذا المد النسقي هو ما جعلها تتمرد على السلطة الذكوريّة في الكثير من المواقف، وتتفوق على الذكر في كثير من الجوانب خاصة في مجال العلمي، فلا ننكر أن العنصر الأنثوي أثبث تفوقه وجدارته في كثير من المجالات خاصة التعليمي منها، ومنافسة الذكر في الوظائف المهنية المختلفة.

ويبقى دافع الأنثى في ذلك هو الخروج من المنزل، الخروج من السجن الحصين الذي فرض عليها قسرا، فالمهم ألاّ تبقى فيه سجينة كما فعلت أمها، لقد أصبح الدافع ليس حبا في العمل أو الدراسة بقدر ما هو صراع كُتب له أن يكون أزليا بين الذكر والأنثى، في محاولة لإثبات الذات الأنثوية والرغبة في الاستقلال ورفض التبعية للرجل سواء أكان استقلالا ماديا أم معنويا.

– فلا نعجب من تحفيز وحث الأم الجزائرية ابنتها على الدراسة والعمل، فهي لا تقنعها بأن شهادتها أو عملها قد يفتح لها آفاقا من الإبداع والتميز، بل تعلن العبارة المشهور قائلة "**أنه عندما يطلقك زوجك فإنك ستجدين عملك**"، وكأنه تحريض منذ البداية على الاستقلال عن الرجل، وتمرد على سلطته، مع بيان أن مصيرها المحتمل أثناء الزواج هو التعرض للاستبداد من قبل الزوج.

فتكون الأم قد جهزت ابنتها (الأنثى) لما قد يسببه الرجل من قهر لنفسيتها واستيلاب لكينونتها، وفي الوقت نفسه رفض لما قد مرت به هذه الأم من تهميش وقهر من زوجها ومجتمعها في الماضي ومحاولة للتمرد عليه؛ لذلك لا تزال تحمل أنساق التمرد والرفض لوضعها المنحط.

**خاتمة:**

نخلص مما تقدم في دراستنا لنسق الفحولة والذكورة في الأمثال الشعبية الجزائرية إلى النتائج التالية:

-المثل الشعبي يمثل ذاكرة المجتمع، لما يتضمنه من صنوف للممارسات الاجتماعية بكل تفاصيلها، ومنها الممارسات الفحولية التي تمارس على الأنثى وتحمل معاني القوة والهيمنة والسيطرة.

-تضمنت الأمثال الشعبية الجزائرية أنساقا ثقافية ذكورية وفحولية مضمرة، تجلّت في تقديس الرجل وتمجيده، وتفضيل إنجاب الذكر في مقابل تهميش المرأة واحتقارها واعتبارها جنسا غير مرغوب فيه.

-استطاعت الثقافة من خلال الأنساق الفحولية أن تنقل لنا الصورة النمطية للمرأة، وهي صورة سلبية حصرتها في خانة الجسد وجردتها من جميع الصفات الإنسانية الأخرى كتغييب عقلها وإنسانيتها وربطها بالعار والفضيحة.

-كشف لنا خطاب الأمثال الشعبية عن تجذّر الأنساق الذكورية في اللاوعي الجمعيّ وقدرتها على توجيه سلوك الفرد لذلك فإن كشفها يحقق وعيا إيجابيا، ويسهم في تخليص وعي المجتمع من ثقافة الاستيلاب والتهميش.

**هوامش:**

[1]- جماعة من كبار اللُغويين، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د ط- د ت، ص 1191.

[2]- يمنى العيد، في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، لبنان، ط1، 1983، ص 32.

[3]- ايديث كوزيل، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993، ط1، ص 411.

[4]- المرجع نفسه، ص 411.

[5]- عبد اللّه الغذّامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط6، 2014، ص 77.

[6]- ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي -إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط3، 2002، ص 305.

[7]– محمد سالم سعد اللّه، النقد المعرفي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 2013، ص 301.

[8]– أرثر ايزاربرغر، النقد الثقافي (تمهيد مبدئي للمفاهيم الأساسية)، ترجمة: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويسي، العدد 63، المشروع القومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص 31.

[9]– محمد سبيلا، الحداثة وما بعد الحداثة، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 2007، ص 17.

[10]– عبد اللّه الغدامي، النقد الثقافي "قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، ص 77.

[11]– المرجع نفسه، ص 79.

[12]– جميلة مرابحية، منطقة أم الطوب ولاية سكيكدة، العمر 68 سنة

[13]– عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 27.

[14]– نبيل فاروق، المرأة مشكلة صنعها الرجل، المبدعون للنشر والإبداع، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 28.

[15]–يحي بوعزيز، المرأة العربية وحركة الإصلاح النسوية العربية، دار الهدى للطباعة والنشر، (د.ط)،(د.ت)، ص 18.

[16]– نبيل فاروق، المرأة مشكلة صنعها الرجل، ص 28.

[17]– المرجع نفسه، ص 25.

[18] –عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص248.

[19]– سورة النحل، الآية 58.

[20]– نبيل فاروق، المرأة مشكلة صنعها الرجل، ص 25.

[21] –جميلة مرابحية، منطقة أم الطوب ولاية سكيكدة، العمر 68 سنة.

[22]–سعيدة حاجي، منطقة أم الطوب ولاية سكيكدة، العمر 67 سنة.

[23]– جميلة مرابحية، منطقة أم الطوب ولاية سكيكدة.

[24]– فيليب روفي، ترجمة: محمد ممتاز، لغة الجسد، دار الخلود للتراث للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2002،ص297.

[25] –عبد الرحمان العيسوي، علم النفس الاسري، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن (د.ط)، 2009، ص 56.

[26]–يحي بوعزيز، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية، ص 23.

[27]–إبراهيم الحيدري، النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، دار الساقي للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 13.

[28]– جميلة مرابحية، منطقة أم الطوب ولاية سكيكدة، العمر 68 سنة.

[29] –عبد الرحيم وهابي، السرد النسوي العربي"من حبكة الحدث إلى حبكة الشخصية"، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016، ص128.

[30]– عبد الله الغذامي، الكتابة ضد الكتابة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1،1991، ص21.

[31]– جميلة مرابحية، منطقة أم الطوب ولاية سكيكدة، العمر 68 سنة.

[32]– عبد الله إبراهيم، السرد النسوي –الثقافة الأبوية الهويّة الأنثويّة والجسد–، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011، ص162.